المحبة في الله

بقلم: الدكتور أحمد أديب أحمد

إنَّ أبرزَ صفاتِ الْمُؤمنينَ فيما بينهم المحبَّةُ في اللهِ، فالْمُؤمنُ كما وردَ عنِ الإمامِ جعفر الصَّادقِ (علينا سلامُهُ): (الْمُؤمنُ أخو الْمُؤمنِ لأبيهِ وأمِّهِ، أبوهُ النُّورُ وأمُّهُ الرَّحمةُ)، والسَّببُ في القُربِ الإيمانيِّ هُوَ كما قالَ (علينا سلامُهُ): (أرواحُ الْمُؤمنينَ واحدةٌ خَرَجَتْ من موضعٍ واحدٍ، وافترقَتْ في أبدانٍ شتَّى، وسَتَعودُ إلى عُنصُرِها، فلا فَرْقَ بين إخوانِكَ وبينَكَ)، لذلكَ كانَ حقُّ الْمُؤمنِ عظيمًا عندَ ربِّ العالَمين حيث قال (علينا سلامُهُ) لسيِّدنا جابر الجعفي (ع): (يا جابرُ، إنَّ حقَّ الْمُؤمنِ عَظيمٌ، لأنَّ الْمُؤمنَ حجابُ اللهِ بينَهُ وبينَ النَّاسِ)، وجعلَ (علينا سلامُهُ): (خاتمةَ الإيمانِ رِضَى الإخوانِ)، وبذلكَ كانَ الذَّنبُ الذي لا كفَّارةَ ولا توبةَ له هو البَرَاءُ بعد الوَلاءِ، والشَّكُّ بعدَ اليقينِ، والشِّركُ بعدَ الإيمانِ، ومُعَادَاةُ الإخوانِ.

ولتحقيقِ هذهِ المحبَّةِ في اللهِ وهذا القُربِ الْمَعنويِّ لابدَّ من التَّواصُلِ والتَّلاقي، حيثُ وردَ عن الإمامِ جعفر الصَّادقِ (علينا سلامُهُ): (يَحقُّ على الْمُؤمنينَ الاجتهادُ في التَّواصُلِ، والتَّعاونُ على التَّعاطُفِ، والْمُوَاسَاةُ لأهلِ الحاجَةِ، وتَعاطُفُ بعضِهم على بعضٍ حتَّى يَكونوا كما أمرَهُم اللهُ عزَّ وَجلَّ: "رُحَمَاء بَيْنَهُمْ" مُتَرَاحِمينَ، مُغْتَمِّينَ لِمَا غابَ عنهم من أمرِهم على مَا مَضَى عليهِ مَعشَرُ الأنصارِ على عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ)، ولكنَّ السُّؤالَ الذي يطرحُ نفسَهُ: لِمَ التَّواصلُ والاجتماعُ فيما بينَهم؟ وكيفَ يُعبِّرونَ عنه؟

الجوابُ لأميرِ الْمُؤمنينَ الإمامِ علي (م) حيثُ قالَ لجماعةٍ من الْمُؤمنين: (تَجتَمِعُونَ وتَتَذَاكَرُونَ)؟ قالوا: بَلَى يا مولانا. فقال لهم: (إنِّي لأَمُرُّ بِكُم وأنتُمْ على ذلكَ، فَلَولا أنَّكمْ تُفتَنُونَ لَظهرتُ فيكم شَوقًا إلى حَدِيثِكم)، وهذا يَدُلُّ على رقيِّ مجالسِ الْمُؤمنينَ الذينَ تجمَعُهُم الْمَحبَّةُ في اللهِ، ويَشهَدونَ على ولاءِ بعضِهم بالْمُصافحَةِ فيما بينَهم لِيَتطَهَّروا من الذُّنوبِ، وهذا ما أكَّدَ عليه الإمامُ محمَّد الباقرُ (علينا سلامُهُ) حينَ قال لسيِّدِنا أبي حمزةَ الثُّماليِّ (ع): (أَمَا عَلِمْتَ أنَّ الْمُؤمنَ إذا جَالَ جَولةً ثمَّ أخذَ بيَدِ أخيهِ نَظَرَ اللهُ إليهما بوَجهِهِ فلم يَزَلْ مُقبِلاً عليهما بوَجْهِهِ فيقولَ للذُّنوبِ أن تَتَحَاتَّ عَنهُما، فَتَتَحَاتَّ كما يَتَحَاتُّ الوَرَقُ عن الشَّجرِ فَيَفتَرِقانِ وما عَلَيهما من ذَنبٍ).

فالْمُؤمنونَ إذْ يجتمعونَ يُطَهِّرونَ أنفسَهم بعلومِ الإثباتِ والإفرادِ الخالصَةِ من شوائبِ التَّشبيهِ وسُمومِ التَّعطيل، فيَرتَقونَ بهذا التَّوحيدِ إلى صفةِ الرُّحماءِ في مجالسِ الذِّكرِ الحكيمِ حيثُ وردَ عن سيِّدنا أبي حمزة الثمالي (ع) مرفوعًا إلى الإمامِ جعفر الصَّادق (علينا سلامُهُ) أنَّهُ قال: (أتباعُنا الرُّحَمَاءُ بَينَهم، الَّذينَ إذا خَلَوا ذَكَرُوا اللهَ، وإنَّا إذَا ذُكِرْنا ذُكِرَ اللهُ، وإذا ذُكِرَ عَدُوُّنا ذُكِرَ الشَّيطانُ)، لهذا فإنَّ أوَّلَ ما يَبتدِئُ بهِ الْمُؤمنُ هو البراءةُ من أعداءِ الحقِّ ليُطَهِّرَ نفسَهُ من دَنَسِ الشَّيطانِ، لقوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)، فمَن لم يُطَهِّروا أنفسَهم من دَنَسِ الشَّيطانِ كانوا من الذين (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)، وأمَّا الذينَ تَطَهَّروا كانوا مِن (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ).

وهذا التَّطهيرُ من دَنَسِ الشَّيطانِ لا يقتصرُ على الْمَجالسِ فَحَسبُ، بل يتعدَّاهُ إلى الاعتقادِ الدَّائمِ في كلِّ لحظةٍ بوجوبِ البراءَةِ من أعداءِ الحقِّ لقولِهِ تعالى: (بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ)، وهذا ينعكسُ على تعامُلِ الإخوةِ الْمُؤمنينَ ومحبَّتِهم وتعاضُدِهم، وهو ما نبَّهَ عليهِ الإمامُ جعفر الصَّادقُ (علينا سلامُهُ) بقولِهِ: (مَنْ سَاوَى بين أخيهِ الْمُؤمنِ وعَدُوِّهِ النَّاصِبيِّ فقد كفرَ وأشرَكَ باللهِ، ومَن لم يَمْشِ في حاجةِ وَلِيِّ اللهِ ابتَلاهُ اللهُ بالسَّعي في حاجةِ عَدُوِّ اللهِ).

نكتفي لعدم الإطالة والله أعلم

الباحث الديني الدكتور أحمد أديب أحمد